الجرجاني مجلة علمية محكمة متخصصة في تأصيل البلاغة والنقد الأدبي
العدد الأول، السنة الأولى، صيف ١٤٤٠هـ/٢٠١٨م؛ صص ٦١-٧٧
تاريخ الوصول: ٢٠١٨/٢/٢٥؛ تاريخ القبول: ٢٠١٨/٦/٢٦

قراءة نقديّة في ثلاثيّة العلامة عند بيرس ومثلّثه السيميائي

عمّار الزويني الحسيني[١]؛ رضا أماني[٢]*

الملخّص

لاشكّ أنّ من العسير على الباحث، أو المتتبّع لمنهج السيميائيّة التحدّث عن المسار الذي اتخذته الممارسات السيميائيّة تنظيراً وتطبيقاً لتصل في شكلها النهائي إلى حدّ الاكتمال؛ وذلك أنّ الدرس السيميائي بكلّ ما يمتلكه من خصوصيات، ومنذ أن نشأت الفكرة في ذهن مؤسسَيه (دي سوسير، وبيرس)، إلى استوائه علماً مستقلاً واضح المعالم في أواخر حياتهما مروراً بـ(موريس)... وغيره إلى اليوم، ما يزال يستخدم المفاهيم القاعديّة ذاتها: العلامة، الدلالة، القيمة، السياق... وغيرها من أجل أن يفسّر التجربة الانسانية من منظورات متعددة ومختلفة، تتزاحم بموجبها العلوم الإنسانيّة والدقيقة مثل علم النفس، وعلم الاجتماع، والفلسفة، واللسانيّات، والمنطق... وغيرها. ولا ريبَ أنّ حجر الزاوية بين هذه المفاهيم المستخدمة في أدبيّات علم السيمياء، هو مصطلح "العلامة". كما أنّه الأساس أو المحور الذي تلتقي عنده طروحات علماء السيمياء ليختلفوا بعد ذلك في رسم ماهيّة هذا المفهوم وحدود تطبيقاته بين مقتصد ومسرف. وفي هذا البحث المتواضع نحاول أن نقف عند "بيرس" في تقسيمه للعلامة إلى ثلاثيّة يتحتّم حضورها مجتمعة (سيميوزيس)، للوقوف على فهمٍ دقيق للعلامة وصولاً إلى أفق تطبيقاتها في تفسير التجربة الإنسانيّة، وعلى الرغم من النّجاح الكبير الذي حقّقه هذا التصنيف البيرسي للعلامة، إلاّ أنّه لم يخلُ من ثغرات، سنقف كذلك عند بيان أسبابها، وسبل معالجتها.

المفردات الرئيسة: قراءة نقديّة، ثلاثيّة بيرس، السيميائية، علم العلامة.

---

١. باحث في جامعة طهران، برديس فارابي، قسم اللغة العربيّة وآدابها - قم المقدسة Ammaralzwainy7@gmail.com
٢. أستاذ مساعد بجامعة العلوم والمعارف القرآنية - قم المقدسة (الكاتب المسؤول) amani@quran.ac.ir

المقدمة

ظهرت في أوربا وأمريكا أواخر القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين مدارس فكرية ومناهج سياقية ودراسات نقدية وفلسفية تعمل ضمن أُطُر وسياقات محددة لتكشف عن ولادة علوم جديدة كالظاهراتية، والبنيوية، والسرد، والشعرية... والسيميائية وغيرها...

والمقال إذ يتناول السيميائية علماً حديثاً -إلى حدٍّ ما- فإنّه يبحث في "العلامة"، كونها تشكل محور هذا العلم، فهي طالما أضنت علماء هذا الميدان في فهم ماهيتها، وحدود تطبيقاتها. فإنّه يختار التصنيف الثلاثي للعلامة عند بيرس؛ لانّه يرى في هذا التقسيم حلّاً وسطاً بين من حصرها في ثنائيّة الدال (وهو الشكل المرئي للعلامة) والمدلول (الذي يمثل المضمون الدلالي الذي لا يمكن إدراكه إلاّ مع الشكل المرئي أو المكتوب...)، وبين من أفرط -إن صحّ هذا التعبير- في رسمها مستطيلاً يرتكز على رباعية تتكون من: محرّض ودال ومدلول ومرجع.

لا يخفى على المتتبع أنّ تاريخ السيميائيات مرتبط بتارخ تأويل العلامة. ولما كان التأويل نقطةً تتقاطع عندها كثير من المسالك المعرفيّة؛ صار من الصعب على الدارس إدراك مساحة هذا التأويل وحدود تطبيقاته، لذا من المهم مقارنة رؤية بيرس للعلامة برؤية أخرى توازيها تاريخياً وشهرةً أيضاً، وهو ما نجده عند دو سوسير، معتمدين في ذلك على المنهج الوصفي. وربما قادنا المقام إلى تحليل بعض الآراء هنا وهناك، ولا يعني ذلك أنّ بؤرة هذا المقال هي إجراء هذه المقارنة بين هذين العالمين، فما يهمنا هو التصنيف الثلاثي للعلامة عند بيرس ما له وما عليه. وكيف تطورت العلامة على يديه، وما هي المؤاخذات التي رصدها المهتمون على تصنيفه للعلامة، وكيف عالجوها... وربما ذكرنا شيئاً عن حياته. فإن فاتتنا الغاية في تفسير رؤية هذا العالم الكبير وتصنيفه للعلامة، على قدر ما فهمه الباحثان وهو يتنقل بين منابع هذا العلم، وما أعسرها مطلباً، فإننا نرجو أن لا يفوتنا شرف المحاولة.. ومن الله التوفيق.

خلفيّة البحث

تعدُّ السيميائيّة من الهناهج المهمّة في الأدب الغربي والشرقي، فقد شهدت العقود الأخيرة من القرن العشرين تحوّلات كبيرة في منهج الخطاب النقدي، فالسيميائيّة تشكّل بُعداً ثقافيّاً بين الثقافتين الغربيّة والشرقيّة، فقد انكبَّ الباحثون، وبالخصوص العرب على دراسة السيميائيّة؛ لأنّها من المناهج النقديّة ذات المضامين العالية في تحليل النصوص الشعريّة خاصّة.

وأمّا بخصوص الدراسة النقديّة في ثلاثيّة بيرس، وكذلك مثلّثه المشهور فحسب دراستنا المتواضعة لم نجد دراسة تحدّثت عنها بصورة مكثّفة، ولكن أشارت بعض الدراسات إليها بفقرات قليلة، وقد درس الباحث عبد الله حمود الفقيه السيميائيات بين بيرس ودي سوسيير والمقارنة بينهما، وكذلك درس الباحث فريد امعضشو منهج السيميائيّة، ولكن لم يتطرّقا إلى قراءة الثلاثيّة بقراءة نقديّة إطلاقاً.

أسئلة البحث

١. لماذا اختلف دي سوسيير مع بيرس في المنهج السيميائي على الرغم من أنّهما مؤسّسا هذا المنهج؟
٢. كيف يمكن أن يكون تقسيم بيرس الثلاثي للعلامة نافعاً؟ في الوقت الذي من الممكن أن تدخل فيه العلامة في متاهات عبثيّة؟

فرضيّات البحث

١. إنّ دي سوسيير يعتبر السيميائيّة علماً عاماً يدرس حياة العلامة في الحياة الاجتماعيّة، وأمّا بيرس، فيعتبر السيميائيّة مرتبطة بالفلسفة.
٢. حينما ندرس المستويات الدلاليّة التي يرمي إليها بيرس من وراء تقسيمه للعلامة نجد المنفعة، فهو يرى للعلامة مستويات دلالية ثلاث.

العلامة بين بيرس ودي سوسير

تعدّ جهود الفيلسوف شارلزساندرس بيرس (١٨٣٩-١٩١٤م) منعطفاً حاسماً في تطوير الدرس السيميائي. فهو «مِن أهمّ المفكرين الأمريكيّين الذين لم يروا فرقاً بين السيميائية والمنطق» (مقداد، ٢٠٠١: ١٤)، فصار علم السيمياء عنده أكثر ارتباطاً بالفلسفة، والتزم الأمريكيّون بهذا الارتباط من بعده؛ ليميّزوا أنفسهم عن المدرسة الأوربيّة التي التزمت منهج العالم السويسري الكبير فردينان دي سوسير (١٨٥٧-١٩١٣م) الذي عدّ السيمياء «علماً عاماً يدرس حياة العلامات في كنف الحياة الاجتماعية» (*المصدر نفسه: ١٣*).

ولد بيرس في حرم جامعة كابردج لوالدٍ عدّ من ألمع علماء أمريكا في القرن التاسع عشر، فاحتكّ برجالات العلم والمعرفة في وقت مبكر من حياته التي كرّسها فيما بعد في دراسة علوم الفلسفة والمنطق، وأظهر ميلاً فطريّاً لهما، فظهر ذلك جليّاً في تصنيفه الثلاثي المتشعّب للعلامة السيميائيّة، ونشر أوّل مقالاته عن السيمياء عام ١٨٦٧م وكان لهذه المقالات الأثر البالغ في تطوير الفكر السيميائي (بنكراد، ٢٠١٢: ١٣)، ومن يطالع

المؤلفات التي صُنِّفت حول علم السيمياء يجد جليّاً سبب الاختلاف بين المدرستين الأوربيّة والأمريكيّة في النظر للعلامة، فالسيميولوجيا والسيميوطيقيا تعتمدان ركائز علميّة مختلفة تؤدّي بالنتيجة إلى وجهتي نظر مختلفة، وظهور هاتين المدرستين في وقت واحد يجعل من الصعب التكهّن بتأثّر أحداهما بالأخرى، فبينما كان العالم اللغوي الكبير دي سوسير يحاول صياغة تصوّره الجديد للسيميائيات آملاً في تأسيس علم جديد، كان الفيلسوف الأمريكي بيرس -انطلاقاً من أُسس فكريّة مختلفة- يرسم تصوراً آخر لهذا العلم.

ينطلق بيرس -في رُؤيته السيميوطيقية- من فلسفةٍ ترى في السيميوطيقا علماً عامّاً يتجاوز حُدود اللِّسان، مُكتسباً عُموميةً يستطيع بواسطتها الغوص في أعماق كُلّ الظواهر الكونيّة بطبيعتها المختلفة، سواءً كانت مادّيَّة أم ميتافيزيقية أم غيرها، يقول: «لم يكن بمقدوري أبداً دراسة أيّ شيء كان، كالرياضيات والأخلاق والميتافيزيا والجاذبيّة الأرضيّة والديناميكيّة الحراريّة والبصريّات والكيمياء وعلم التشريح المقارن بعلم الفلك وعلم النّفس وعلم الصوتيّات وعلم الاقتصاد وتاريخ العلم والكلام... والسكون والرجال والنساء والنبيذ وعلم القياس والموازين إلاّ على أنّه نظام سيميولوجي» (عياش، ١٩٨٨: ١٠).

هذه الأسس الفكريّة الفلسفيّة التي انطلق منها بيرس مكرّساً جُلّ حياته في تتبعها، أمْلت عليه أن يكون المنطق «اسماً آخر للسيميائيات بوصفها نظريّة شكليّة للعلامات... وما دام الإنسان يفكّر من خلال العلامات، فإنّه يتعيّن على الباحث السيميائي رصد هذا التفكير في مستوى العلامات ذاتها» (بلقندوز، ٢٠٠٤: ٣)، لذلك لم تعدّ هذه السيميائيّة – وفق رؤية بيرس- مقتصرةً على المعطى الاجتماعي التجريدي لسيميولوجيا سوسير الذي أفضى إلى تمركز الدراسة حول آليّة العلامة ووظيفتها التواصليّة، التي تنطلق من اللغة وترتد إليها بين ما هو منطوق (مشفوه) أو مكتوب، متجاهلةً الجانب الإنجازي للعلامة، «وهنا نقطة انطلاق السيميائيّات الأمريكيّة التي ترى أنّ البُعد التواصلي ما هو إلاّ نمط خاص من أنماط السيميوزيس-وهو أي السيموزيس ذلك النشاط الترميزي الذي يقود إلى إنتاج الدلالة وتداولها، أو لنقل أنّه شيء ما باعتباره علامة- وينبغي كي يكتمل مشروع الدراسة، أن تُدرج باقي أنماط السيميوزيس ضمن السيميائيات» (*المصدر نفسه: ١*).

يتصوّر بعضهم أنّ ما عرضته كتب القوم في هذا المجال، تصور نجاعة (أي القدرة على إحداث تأثير) ثلاثيّة العلامة التي نادى بها بيرس في تفسير التجربة الإنسانيّة مطلقاً، وهو تصوّر في محلّه بشرط أن لا يأخذنا الحماس بعيداً، «فنخوض في كلّ التفاصيل الجزئيّة التي قد لا تخدم كثيراً النصّ اللّغوي والأدبي، مكتفين في ذلك، بالجوانب التي من شأنها أن تقدّم دعماً حقيقيّاً للمنهج السيميولوجي في دراسته اللّغويّة والنقديّة» (زيادة وآخرون، ١٩٨٨: ٢/٧٥٣)، وعلينا أن نفرّق بين الظاهرة اللّغويّة والأخرى الأدبيّة، وبين النصّ والجملة، فكثير

من الظواهر اللّغويّة لا تحتاج إلى هذا التعقيد في العلامة عند بيرس. كما بعض النصوص القصيرة في التجربة الأدبيّة تشكو ذلك العنت والجهد جرّاء إخضاعها لثلاثيّة بيرس دائماً.

تطوّر العلامة عند بيرس

إنّ العلامة عند بيرس علاقة مركّبة ثلاثيّة بين ثلاث علامات، فلم يعد الدال يقودنا إلى المدلول مباشرةً! تلك الثنائيّة التي عرفناها عند سوسير (الدال والمدلول، اللّغة والكلام، الشكل والمضمون)، بل صار يتوسّط هذه الثنائية عنصرٌ ثالثٌ سمّاه بيرس «المؤول» الذي يقود النصّ إلى احتمالاتٍ أكثر تعقيداً ممّا يتصوّر بعض النّقاد، بحيث يصبح النصّ معه أكثر انفتاحاً على مجموعة من الاحتمالات التي تُبقي المتلقي قريباً من النصّ.

كُلُّ شيءٍ في الوجود يبدأ -حسب رؤية بيرس- أوَّل ما يبدأ في عالمٍ احتماليٍّ مفصولٍ عن أيِّ سياقٍ زمكانيٍّ، مُجرَّدٍ عن القصديّة الظاهراتية المحسوسة، ما يُشكِّل المستوى الأوَّل أو المقولة "الأوَّلانيّة"، التي يُنتقل منها إلى مُستوى ثانٍ تبرز فيه الأشياء على هيئةٍ مُتجسّدة، أيْ أنَّها تدخل مرحلة التحقُّق الفعلي والوجود المادِّي في عالم الموجودات، وهذه هي المقولة "الثانيانيّة" بعد هذه المرحلة، تأتي مرحلةً ثالثةً تُشكِّل المقولة "الثالثانيّة"، يُصبح فيها الوجود في عالم الواجبات، الذي يكتسب فيه البُعد القانوني بُعد تجريد المحسوسات واختزالها في قوالب تدلُّ عليها وتُؤطِّرها، هذه المرحلة تقف وسيطاً بين المرحلتين الأولى والثانية، «ليصوغ "بُورس" -كما يحب بنكراد أن يسميه- هذه السيرورة على الشكل التالي: أوَّل يُحيل إلى ثانٍ عبر ثالث» (بنكراد، ٢٠١٢: ١٤).

تصوُّر بيرس الظاهراتي للوجود انعكس على تصوُّره للعلامة التي تتشكَّل من خلال سيرورةٍ ثُلاثيةٍ تتمثَّل في ممثل(مفسرة) يُحيل على موضوعٍ (ركيزة) عبر مُؤوِّل(مصورة)، و«هذه الحركة -سلسلة الإحالات- هي ما أطلق عليه بيرس "السيميوزيس" تلك السيرورة المؤدّية إلى إنتاج الدلالة وتداولها في سياق ما، وهكذا «يصير السيميوزيس عبارة عن دلالات متناسلة وغير منتهية يحركها اشتغال هذه العناصر الثلاث وهي: الممثل، الموضوع، والمؤول» (بلقندوز، ٢٠٠٤: ٣).

مثلث بيرس السيميائي

هذه الحيويّة التي رافقت التصنيف الثلاثي للعلامة -بالخصوص العلامة من حيث علاقتها بموضوعها- جعلته «من أهمّ التصنيفات وأكثرها رواجاً وفاعليّة في مجال الدراسات السيميوطيقيّة، ويتمثّل هذا التصنيف في تقسيم العلامة إلى ثلاثة أنماط تتشكّل من خلال نوعيّة العلاقة الّتي تنسجها العلامة مع موضوعها في علاقة مع الممثّل بوصفه أوّلاً، وفي علاقته مع الموضوع بوصفه ثانياً، وفي علاقته مع المؤوّل باعتباره ثالثاً» (مبارك،

١٩٨٧: ٥٥)، أي أنّ العلامة – في نظر بيرس– مركّبة من ثلاثة عناصر يُفترض أن تتشارك هذه العناصر الثلاث ليتسنى للعلامة أن تؤدّي رسالتها على أكمل وجه، غير أنّ هذه الحيويّة ذاتها التي رافقت تطبيق مثلث بيرس على جميع الظواهر الإنسانيّة، وجعلته عرضة للانتقادات بل والتشكيك أيضاً! بسبب طبيعته التي تغالي في التجريد والتعميم (زيادة وآخرون، ١٩٨٨: ٧٥٣/٢). ويمكن أن نستعين بالرسم الهندسي الآتي لفهم مبدأ التثليث، الذي اعتمده بيرس وتلامذته، إنطلاقاً من العناصر الثلاثة المكوّنة للعلامة وهي: "الممثل –الموضوع– المؤول"، وما يمكن أن ينتج عن هذه العلاقة بين أطراف العلامة الواحدة من علاقات ثانويّة معقّدة وتقسيمات متشعبة كثيرة إلى حدّ يتعسّر معها الإحاطة بكلّ جزئيّات تلك العلامة، ممّا جعل بعضهم يشكّك في قدرة سيميوطيقية بيرس «لأن تكون صالحة لتأسيس نظريّة المعرفة عامّة والسيمياء خاصّة» (*المصدر نفسه، ٤٥: ٢*).

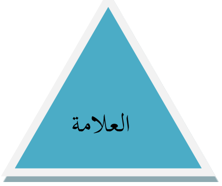

ثم لا تلبث هذه العناصر الثلاث (الممثل — الموضوع – المؤولة)، أن تتشعّب وفق حركة دراماتيكيّة على نحو يغدو معه التقسيم الأوّل باعتبار (الممثل) إلى:

"علامة نوعية (طبيعيّة) – علاقة متفردة (عقليّة) – علاقة عرفيّة"

بينما يكون التقسيم الثلاثي باعتبار العلاقة بين الموضوع والمؤولة إلى:

"الأيقونة – المؤشر – الرمز"

أمّا التقسيم الثلاثي فيكون باعتبار المؤولة إلى:

"تصور – تصديق – حجّة"

ويضع الأستاذ هواري بلقندوز مخططاً توضيحيّاً، لمثلث بيرس، يعيد من خلاله ترتيب تلك التقسيمات، فهو يرى من خلال هذا المخطط «أنّ أيّ طرف في هذا التقسيم يعّد علامة ذات وظيفة دلاليّة ثلاثيّة، تشتغل بدورها ضمن فضاء سيرورة السيميوزيس كما لو كانت عنصراً من عناصر العلامة» (بلقندوز، ٢٠٠٤: ٤)، ولا بأس من رسم هذا المخطط زيادة في التوضيح:

	العلامة	الموضوع	المؤولة
الممثل باعتباره علامة	علامة طبيعية (نوعية)	علامة منفردة (عقلية)	علامة عرفية
العلامة بالنظر إلى الموضوع	أيقونة	مؤشر(شاهد)	رمز
العلامة بالنظر إلى المؤولة	تصور	تصديق	حجّة

وفضاء السيرورة هذا (السيميوزيس) تضمّن أبعاداً سيميائيّة ثلاث، "يهتم كلٌّ منها بأحد أبعاد العلامة" (بلقندوز، ٢٠٠٨: ٣٣) وهي:

١. النحو الخالص؛ ويدرس أبعاد العلامة التركيبيّة. ويمثله وفق مخطط هواري (علامة نوعيّة، علامة متفرّدة، علامة عرفيّة).

٢. المنطق؛ ويدرس أبعاد العلامة الدلاليّة، ويمثله وفق المخطط المذكور (أيقونة، مؤشر، رمز).

٣. البلاغة؛ وتتكفل بدراسة أبعاد العلامة التداوليّة. ويمثله وفق المخطط (تصوّر، تصديق، حجّة).

وفق هذه الرؤية، أي سيميوطيقا بيرس، لم يعد من الممكن فهم علامة من العلامات إلاّ بحضور هذه العناصر الثلاث مجتمعة "السيميوزس"، أي "الممثل – الموضوع – المؤول".

فالعنصر الاول "الممثل أو العنوان أو المفسرة": هي عبارة عن «علامة جديدة تنجم عن الأثر الذي يتركه موضوع العلامة في ذهن المفسّر أو المتلقي وهي تقابل "المدلول" عند سوسير» (رويلي، ٢٠٠٧: ١٨٠). وتنقسم بدورها إلى ثلاثة أقسام، كما في المخطط أعلاه، وهي:

١. العلامة النوعيّة: تتمثَّل هذه العلامة في صفةٍ حسِّيَّةٍ أو في مُحاكاةٍ للأشياء وانعكاسٍ لصُورها أو في تعلُّم المهارات التي تعتمد على الحركة والإشارة، كالرياضة مثلاً.

٢. العلامة المتفرّدة: ويُقصد بها الشيء الموجود أو الواقعة الفعليّة التي تُشكِّل العلامة، ومثالها: الأنصاب التذكارية، وأعراض المرض....

٣. العلامة العرفيّة: وتُمثِّلها العلامات التي تعارف عليها الناس واصطلحوا على دلالتها، كألفاظ اللُّغة الطبيعيّة، الإشارات والرُّموز العلميّة، علامات السير (عبد الكريم، ٢٠٠١: ٣٢).

والعنصر الثاني "الموضوع أو الواقع أو الركيزة": وهو المعرفة التي تفترضها العلامة لكي تأتي بمعلوماتٍ إضافيّةٍ تخصُّ هذا الموضوع. والعلامة من حيثُ علاقتها بموضوعها تنقسم إلى ثلاثة أقسام هي:

١. الأيقونة: وفيها تُحيل العلامة إلى موضوعها عبر علاقة المشابهة، سواء كانت المشابهة، مُحاكيةً موضوعاً مادِّيّاً أو ميتافيزيقياً، كما في الصُّور الفُوتوغرافية والمجسَّمات والتماثيل، وكذلك كصُورة العنقاء في الرُّسوم والاستعارات وغيرها، وقد تكون الأيقونة مسموعةً لا مُصوَّرةً، كما هُو الحال في الصوت المسجَّل لشخصٍ ما، فهُو أيقونةٌ تُحيل على الأصل. وما تجدر الإشارة إليه هنا أنّ علاقة المشابهة التي تربط الأيقونة بموضوعها أصبح موضع خلاف ونقاش بين السيميوطقيين إلى حدّ تحول فيه «توجه قائم بذاته في السيميوطيقات المعاصرة، كما هو الحل عند "إمبرتو إيكو" وبعض السيميوطقيين الإيطاليين» (يوسف، ٢٠٠٥: ٩٤).

٢. المؤشِّر: وهُو علامةٌ تربطها بموضوعها علاقة السببيّة، وترجمها بعضهم بالشاهد أو القرينة وغالباً ما يكون الارتباط السببي هذا فيزيقياً أو من خلال المجاورة مثل دلالة الحمّى على المرض، والغيوم على المطر، أو دلالة وقْعِ الأقدام على مرور أحدٍ ما، ودلالات النُّصب التي هي إشارات على الطريقوغيرها، ويكمن الفرق بين الأيقونة والقرينة أنّ الأيقونة لا تفقد خصوصيتها حينما ينعدم موضوعها (فاخوري، ١٩٨٥: ٢٢).

٣. الرمز: ويتميَّز بعُرفية العلاقة بين العلامة وموضوعها، أو هي – بمعنى آخر– علاقةٌ اعتباطيةٌ في أصلها، غير أنَّ تعارف الناس وتواضعهم عليها – أيْ العلامة– عمل على تسييقها وربطها بموضوعٍ مُعيَّن، كاللَّون الأحمر في إشارات المرور، وارتباط الحمامة بالسلام... (عبد الكريم، ٢٠٠١: ٦٢)، ويعدّ "الرمز" أفضل العلامات على الإطلاق، وأكثرها تجريداً؛ لأنّه علامة إنسانيّة محضة تدلّ على موضوعها بالوضع عكس ما عليه الأيقونة والقرينة، كدلالة الصليب على المسيح، والهلال على الإسلام (قاسم وآخرون، ١٩٨٧: ١٣٧)، ويعدّ هذا التصنيف الخاص بنسبة العلامة إلى موضوعها (العنصر الثاني) أحد أهمّ التصنيفات وأكثرها شهرةً وفاعليّة في مجال الدراسات السيميوطيقيّة.

لقد ميّز بيرس نوعين من الموضوعات، حيث عدّ الموضوع جزءاً من العلامة وليس شيئاً من أشياء عالم الموجودات. هما:

- الموضوع المباشر (الكليّات المجردة): وهو جزء من أجزاء العلامة وعنصر من عناصرها المكوّنة، فهو الموضوع كما تمثّله العلامة والذي يناط كيانه بما يمثله في العلامة (فرطوسي، ٢٠٠٥: ٩)، ويمثل جزء العلامة الذي «يُشكّل المعرفة المباشرة المرتبطة بالعلامة والمعطى الأولي البارز فيها» (بنكراد، ٢٠١٢: ٦٦).

- الموضوع غير المباشر (الحيوي): وهو الموضوع الذي يضطر إلى ربد العلامة بما يماثلها في عالم الموجودات، ويعمل بالتالي على تحديدها ويُطلَق التجربة الضمنيّة. ويتسم هذا الموضوع بالديناميكية بما يضفيه «على العلامة من إيحاءات وإحالات معرفية ناتجة عن التجارب الضمنيّة التي تتسم بالتجدّد والاختلاف، تبعاً لما تحمله الذات المدركة أو الذوات تجاه الموضوع» (*المصدر نفسه:* ٦٦).

إنّ إجماع المتابعين لبيرس على جدوى مثلثه السيميائي حين تتعلّق العلامة بموضوعها، يجعلنا نعيد النظر في تفائلنا السابق بخصوص جدوى هذا الرسم للعلامة، والتماس نقاط الضعف التي لحقت به حين تتعلّق العلامة بالممثّل من جهة، وكذلك حين تتعلّق العلامة بالمؤوّل من جهة أخرى؛ لا أقل أن نتوصل إلى حلول نافعة تعالج هذه الثغرات في مثلّث بيرس السيميائي.

أمّا العنصر الثالث (المؤول أو المصوّرة): فهو الحامل المادي للعلامة ويقابل الدال عند دي سوسير (رويلي، ٢٠٠٧: ١٨١)، ويتفرّع أيضاً إلى ثلاثة أقسام هي "تصوّر، تصديق، حجة".

- التصوُّر: وتُعرف أنّها كُلُّ علامةٍ مُفردةٍ أو مُركَّبةٍ لا تصلح لأن تكون حُكماً، بل – فقط– حدّاً في الحُكم، وهي بالتالي، لا تحتمل الصدق ولا الكذب، فهي –بمعنى آخر– جُملةٌ خبريةٌ تُعطي تُصوُّراً لا يُستطاع الحُكم عليه بالصدق أو الكذب، كخبر جُملة "السماء صافية" (عبد الكريم، ٢٠٠١: ٧٢).
- التصديق: وهي علامةٌ قابلةٌ للحُكم عليها بالصدق أو الكذب، ومثالها جُملة «كُلُّ إنسانٍ فانٍ».
- الحُجَّة: وهي تأليفٌ من العلامات لا يتعلّق سوى بالقواعد، فهي تتَّسم بالثبات والديمومة من حيثُ كونها قائمةً على أُسسٍ منطقيةٍ واستدلالٍ يسمها بالصدق (*المصدر نفسه: ٧٢*)، ومن خلال ما تقدّم نلاحظ أنّ كلّ عنصرٍ من العناصر الثلاثة المكوّنة للعلامة عند بيرس قد تفرّع بدوره إلى ثلاثة فروع أخرى... وهكذا، ويمكن إعادة رسم مثلث بيرس مرّة أخرى ليتضمّن تقسيمات الدائرة الأولى القريبة من أقسام العلامة الأساس وفق الشكل الآتي:

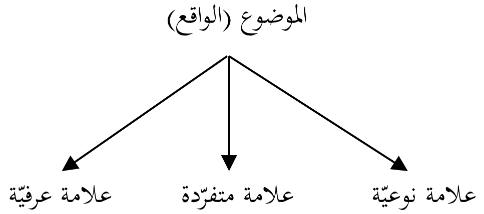

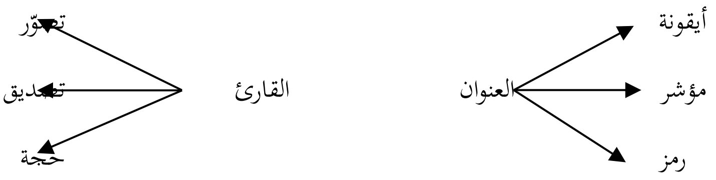

المؤاخذات على تصنيف بيرس وسبل معالجتها

وفق ما تقدم، في الرسم أعلاه، إنّ هذه التقسيمات قابلة لأن تتضاعف مولّدة تقسيمات أخرى جديدة لا يمكن التّكهن بعددها، وقد حاول بعضهم إحصاء ستة وستين قسماً منها من غير أن يحصرها بهذا العدد (٦٦)، إذ من الممكن أن تنفلت مولّدة عدداً أكبر!، وهنا يقع السؤال المهم، كيف يمكن أن يكون تقسيم بيرس الثلاثي للعلامة نافعاً؟ في الوقت الذي من الممكن أن تدخل فيه العلامة في متاهات عبثيّة، أو لا نظاميّة غير متناهية؟!

لا شكّ أنّ تقسيم بيرس، المبني على الثلاثيّة الحتميّة للعلامة، أهم التقسيمات المتداولة بأيدينا اليوم في الدرس السيميائي المعاصر، وأدنى مراجعة للكتب المؤلفة بهذا العلم تؤيد ذلك، وهنا نعود لنفس السؤال السابق كيف نخرج من هذه المعادلة الصعبة، بين جدوى هذا التقسيم من جهة، وانزلاقه إلى الفوضى من جهة أخرى؟

للإجابة على هذا السؤال يجب أن نعرف المستويات الدلاليّة التي يرمي إليها بيرس من وراء تقسيمه للعلامة، فهو يرى للعلامة مستويات دلالية ثلاث، هي:

- المستوى الدلالي الأوّل (المباشر): ويدخل دائرة التعيين، إذ يقتصر على إدراك العلامة نفسها في ذاتها مُباشرةً، فلفظة الشجرة تُحيل على الشجرة المعروفة – عياناً– ذات الأوراق والجُذور... وقد اصطلح عليه بيرس تسمية عالم الممكنات.
- المستوى الدلالي الثاني (المؤوّل الدينامي): وفيه تخرج العلامة من دائرة التعيين، لتغوص في العُمق، سابحةً في فضاء تأويل واسع الأرجاء، فسيح الدلالات، مُتعدِّدها، فمن خلال التراكمات الثقافية والسيرورات المعرفية تُمنح العلامة أبعاداً رمزيةً –فوضويةً– لا نهائيةً.
- المستوى الدلالي الثالث (المُؤوّل النهائي): حين تنفلت ربقة التأويل في المستوى الدلالي الثاني، يكون من الواجب الحدّ من هذه القُوّة التأويلية حتّى لا تَلِج دائرة العبثية واللاّنظام، من هُنا كان المُؤوِّل النهائي، الذي يقوم من خلال التسييق المعرفي للعلامة، بالحدِّ من تشتُّتها الدلالي وحصرها في دائرةٍ دلاليةٍ مُعيَّنة (بنكراد، ٢٠١٢: ٧٦)، إذ يتوجّب على اللغويّين والنقّاد «الابتعاد عن الخوض في غمار

كلّ التفاصيل الجزئيّة التي تنجم عن انفلات ربقة التأويل في المستوى الثاني، والتي لا تخدم كثيراً النصّ الّلغويّ والأدبيّ، مكتفين بالجوانب التي من شأنها أن تقدّم دعماً حقيقيّاً للمنهج السيميولوجي في دراسته اللغويّة والنقديّة» (مبارك، ١٩٨٧: ٥٥).

دور المسلمين في تطور السيميائيّة

لاشكّ أنّ للمسلمين دوراً ريادياً في تأسيس منهج السيميائيّة، ومن باب (لاتبخسوا الناس أشيائهم)، فلا يمكن لنا أن ننْكر إسهام المسلمين الأُوَّل في تأسيس هذا المنهج. فلو تصفحنا الكتب التراثية والآثار العلمية نرى الكثير من عطاء المسلمين ومشاركتهم البنّاءة في السيميائيات. وهكذا، فقد عَرَفها متصوّفة الإسلام باسم "السيمياء" أو "علم أسرار الحروف". وفي الإطار عَيْنِه، عالج اللغويون والمَناطِقة القدامى قضية الدلالة باعتبارها النسبة الرابطةَ بين اللفظ والمعنى، أو بين الدال والمدلول بالاصطلاحات الحديثة. وإذا كان أرسطو قد قسّم هذه النسبة إلى نوعين (Physei) (Thesei)، فإنّ المناطقة المسلمون ميّزوا بين ثلاثة أنواع من النسب: طبيعية وعقلية ووضعية. فأمّا الدلالة الطبيعية، فهي دلالة يجد العقل بين الدال والمدلول علاقة طبيعية ينتقل لأجلها منه إليه (التهانوي، لا تا: ١/٧٨٨). وأما الدلالة العقلية، فهي دلالة يجد العقل بين الدال والمدلول علاقة ذاتية ينتقل لأجلها منه إليه، وأما الدلالة الوضعية، فهي دلالة يجد العقل بين الدال والمدلول علاقة الوضع ينتقل لأجلها منه إليه، أي إنّها دلالة اصطلاحية قائمة على المواضعة والاتفاق، وإن دلّ على شيء، فإنّما يدلّ على أنّ العلماء المسلمين القدامى -عرباً وعجماً- قد خاضوا في السيميائيات، وتناولوا قضاياها، ودرسوا الكثير من مباحثها. ومن هنا، فقد أصبح من الضروري -بغية تطوير النظرية السيميائية وتأصيلها- العودة إلى هذه الاجتهادات بحثاً عن الحلول المناسبة للإشكالات السيميائية القائمة. وذلك رغم سذاجة تلك الاجتهادات، وتوزعها بين المظانّ المتعددة، وافتقارها إلى خلفية نظرية واضحة، غير أنّ السيميائيات لم تعرف انطلاقتها الفعلية القوية إلاّ مع بيرس وسوسير. وإذا كان سوسير قد تكهّن بميلاد علم السيميولوجيا، وطرح المبادئ العامّة والنواميس الضابطة له، فإنّ بيرس من خلال ثلاثيّته قد قدّم نظريّة متكاملة دقيقة لعلم العلامات، وخصّه بكتابات ومقالات عدّة، فهو رائد هذا المنهج.

لو أردنا الوصول إلى حقيقة السيميائيّة، ويبقى هذا المجال مفتوحاً للبحث والدراسة لحصلنا على أثرٍ يشير بتقدّم الإسلام في هذا الباب، وإن كانت إشارة أو تلميحة لذلك، فقد وردت لفظة «سيمياء» في القرآن الكريم دون ياء في جملة من الآيات كقوله تعالى: ﴿**وَنادى أَصْحابُ الْأَعْرافِ رِجالاً يَعْرِفُونَهُمْ بِسيماهُمْ قالُوا ما أَغْنى عَنْكُمْ جَمْعُكُمْ وَما كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُون**﴾ (الأعراف/٤٨)، وقوله تعالى: ﴿**سيماهُمْ في وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ**﴾

(الفتح/٢٩)، وقال أيضاً: ﴿**يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسيماهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّواصي وَالْأَقْدامِ**﴾ (الرحمن/٤١). من خلال هذه الآيات المذكورة يشير فيصل الأحمر على أن دلالة «سيمياء» تتطابق مع ما ذكره ابن منظور صاحب كتاب لسان العرب حيث يقول: "الدلالة التي حملتها هذه اللفظة في القرآن الكريم، هي الدلالة نفسها التي ذكرها ابن منظور وهي العلامة" (الأحمر، ١٤٣٣: ٣٠). ويتجلى لنا من خلال هذا القول إنّ العلامة ذات الدلالة الروحية والعقلية والكونية هي بيت القصيد، لأنه يستدلّ بحاضرها على غائبها، قال تعالى: ﴿**وَعَلاماتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ**﴾ (النحل/١٦)، فالعلامة كأمارة أو دليل أو أثر (مقصود أو غير مقصود) خاضعة لتأويل المتلقي، قال تعالى: ﴿**فَلَمَّا قَضَيْنا عَلَيْهِ الْمَوْتَ ما دَلَّهُمْ عَلى مَوْتِهِ إِلاَّ دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَأَتَه**﴾ (سبأ/١٤). هذا في القرآن الكريم، وأما إذا رجعنا ملياً إلى اللغة العربية، ونظرنا إلى معجم لسان العرب لابن منظور لوجدناه أمعن النظر في تعريفه المعجمي لمفردة (سيمياء)، حيث يقول: «... السومةُ والسّيمةُ والسّيماءُ والسّيمياء: العلامة، وسوم الفرس: جعل عليه السيمة، وقوله عزّ وجلّ: ﴿**حِجارَةً مِنْ طينٍ مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفينَ**﴾. قال الزجاج: روي عن الحسن أنّها معلّمة ببياض وحُمرة، وقال غيره: مسوّمةٌ بعلامة بعلم أنّها ليست بحجارة الدنيا، ويعلم بسيماها أنها ممّا عذّب الله بها» (ابن منظور، ١٩٩٠: ٤٨٤). وقال الجوهري: السومةُ بالضمِّ، العلامة تُجعل على الشاة... والأصل فيها الواو فقلبت لكسرة السين وتمدّ وتُقصر، وقال الليث: سوم فلان فرسه إذا أعلم عليه بحريرة أو بشيء يُعرف... وفي لغة أخرى السيماء بالمد، قال الرجز:

غُلامٌ رَماهُ اللهُ بِالحُسنِ يافِعاً   لَهُ سِيماءٌ لاتَشُقُّ على البَصَر

قوله سيماء، هكذا في الأصل، والوزن مختل ولعلّها سيمياء (*المصدر نفسه: ٤٨٦*).

وكذلك ورد في المعجم الوسيط ذكر هذه اللفظة حيث نجد فيه: "... السيمياء: السحر، وحاصله إحداث مثالات خياليّة لا وجود لها في الحس... وسَوَّمَ الشيءَ: أعلمه بسُومَةٍ. ومنه قولُه تعالى: ﴿**وَالخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ**﴾ فلان اتخذ سمة ليُعرف بها، السُّومة: السمة والعلامة، والقيمة، يقال: إنّه لغالي السومة، السِّيمة: السُّومة، السِّيما: العلامة، وفي التنزيل: ﴿**سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ**﴾، السِّيماء: السِّيما، السِّيمياء: السِّيما (مصطفى وآخرون، لا تا: ٣٥٧). يُستخلص ممّا ورد في القرآن الكريم، ومعاجم اللغة العربيّة مثل لسان العرب والمعجم الوسيط، أنّ ماهيّة السيماء هي العلامة، وهذا ما جاء به بيرس في نظريّته.

إن السيمياء كمصطلح تعددت استعمالاته، فقد عُرف كعلم عند المسلمين قديماً، فهذا ابن سينا في مخطوسه (الدرّ النظيم في أحوال علوم التعليم)، وفي فصل تحت عنوان علم السيميا حيث يقول: «علم السيميا علم يقصد به كيفية تمزيج القوى التي في جواهر العالم الأرضي ليحدث عنها قوة يصدر عنها فعل غريب، وهو

أيضاً أنواع» (أريفيه وآخرون، ٢٠٠٢: ٢٣)، فالناقد رشيد بن مالك يواصل ذكره لما ورد تحت هذا العنوان من هذه المخطوطة، فيذكر تلك الأنواع وهي متعلقة بالحركات العجيبة التي يقوم بها الإنسان، وبعضها متعلق بفروع الهندسة، أما البعض الآخر، فمتعلق بالشعوذة (الأحمر، ١٤٣١: ٣١).

وهذا معناه أن علم السيمياء عند العرب القدامى ارتبط بعلم السحر، والطلسمات، وأحياناً كانت تعني الكيمياء، وأحياناً أخرى ارتبطت بعلم الدلالة، ونجدها تارة ارتبطت بعلم المنطق، وعلم التفسير، والتأويل، وهذا دليل على أن للمسلمين إسهامات في حقل السيمياء، وأنهم سبقوا بيرس وديسوسير في السيمياء، وإن كانت بعيدة نوعاً ما عمّا يعرف في الدراسات الحديثة، فقد تأثر المسلمون وبشكل مباشر بالرواقيين، وعلى رأسهم الفارابي وابن سينا (الرواقيون: هم أوّل من قالوا بأنّ العلامة دال ومدلول، وهم أصلاً من العمّال الأجانب في آثينا، وينتمون إلى الكنعانيين الفينيقيين القادمين من أرض كنانة صيدا سوريا إلى غزة فلسطين إلى شمال إفريقيا).

وهذا ابن خلدون يذكر فصلاً كاملاً في كتابة الشهير (المقدمة) أسماه (علم أسرار الحروف)، وتحدث كثيراً في هذا المجال حيث يقول: «وهو المسمى لهذا العهد بالسيميا نقل وضعه من الطّلسمات إليه في اصطلاح أهل التصرف من غلاة المتصوفة... في جنوحهم إلى كشف حجاب الحسن، وظهور الخوارق على أيديهم...، ومزاعمهم التي تنزل الوجود عن الواحد وترتيبه، وزعموا أنّ للكمال الإسمائي مظاهره أرواح الأفلاك والكواكب، وأنّ طبائع الحروف وأسرارها سارية في الأكوام على النظام» (ابن خلدون، ٢٠١٠: ٦٢١). وهذا إن دلّ على شيء، فإنّما يدلّ على أنّ ابن خلدون من هذه الوجهة قد تحدّث عن الجانب الغيبي، والسحري لعلم السيمياء.

ويمكن القول: إن هناك اختلافاً بين المسلمين القدامى، وبين المسلمين المحدثين، فلم يعرف المسلمون القدامى مفهوماً للسيمياء كما عرفه المسلمون المحدثون، فقد اكتفوا (القدامى) بربطه بالعلوم المختلفة، كعلم السحر، والطلسمات، والكيمياء، والمنطق بالرجوع إلى أرسطو، والتفسير، والتأويل، وكانوا يرجعونه إلى قوى غيبيّة، كما ارتبط علم السيمياء، بعلم عُرف عند المسلمين القدامى ب: علم الدلالة، ويكاد يجزم النقاد المسلمون المحدثون على أنّ علم السيمياء قد استفاد من روافد جعلته يستقطب اهتمام المشتغلين في حقول شتّى من العلوم، وهذا ما يؤكده الناقد عبدالملك مرتاض في موضوعه حول السمة والسيميائية، حيث يقول: «وكذلك ابتدأت السيميائية طبية فلسفية، ثم لغوية خالصة، ثم تشبعت إلى أدبية مع احتفاظها بوضعها اللساني» (مرتاض، ١٩٩٣: ١٩).

إنّ الذي يُعضّد هذا الرأي ما أجمل عليه الباحثون في نشأة الدلالة على أنها بدأت بالمحسوسات، ثم تطورت إلى الدلالة المجردة بتطور العقل الإنساني ورقيّه، فكلما ارتقى التفكير العقلي جنح إلى استخراج الدلالات المجرّدة، وتوليدها والاعتماد عليها في الاستعمال.

ومن هنا يتضح لنا أنّ علم السيمياء وعلم الدلالة مرتبطان إلى حد كبير، حيث كلاهما استفاد من الطبّ، والفلسفة، واللغة، والأدب، فإذا جئنا إلى علم الدلالة نجد أنّه اعتبر منذ القديم من أهم الموضوعات التي اعتنى بها الفكر الإنساني حيث وجد عند فلاسفة اليونان، علماء الهنود...، كما ظهر عند النقاد المسلمين القدماء حيث ركزوا على اللغة باعتبارها المنطلق الأساسي لدراساتهم سواء تعلق الأمر بالعلوم الشرعيّة أو العلوم اللغويّة كالنحو، والصرف، والبلاغة، واعتبروها مفاتيح ضرورية للتعمّق في دراسة العلوم الشرعيّة، ومن هنا يمكن أن نستخلص أنّ العلوم اللغويّة تأثرت بعلوم الدين، فإذا كانت هذه الأخيرة تهدف إلى استخلاص الأحكام والتشريعات الموجودة في القرآن الكريم، فإن الخوف من ضياع المعنى وإفساده كان له الأثر الكبير في ظهور علم الدلالة، وبهذا امتدّت البحوث العربية من القرون الثالث، والرابع، والخامس الهجرية إلى سائر القرون التالية لها، وهذا التأريخ المبكر إن دلّ على شيء إنما يدلّ على مدى النضج الذي أحرزته العربية، وأصّله الباحثون في جوانبها، وهذه الأبحاث الدلالية لا تتعلق بحقل معيّن من النتاج الفكري، بل هي تتوزّع، لأنه مدينة للتحاور بين المنطق وعلوم المناظرة، وأصول الفقه، والتفسير، والنقد الأدبي، والبيان، وهذا التلاقح بين العلوم النظرية واللغوية هو الذي أنتج ذلك الفكر الدلالي العربي، وأرسى قواعد تعتبر من المنطلقات الأساسية التي يتبلور من خلالها علم الدلالة والسيمياء على سواء.

مقبوليّة سيميائيّة بيرس

لا شك أن سيمياء بيرس قد لاقت صعوبات، وعانت في الساحة النقدية من عدّة إشكاليات بداية من تقبّل وجودها بصفتها معرفة لها استقلاليتها، ومنهج نقدي إجرائي، على الرغم من أنّ لها ملامح وبذوراً في التراث الإسلامي والعربيّ القديم، إلا أنّ هناك اختلافاً بين مفهوميها في النظريات الغربية والتراث العربيّ، هذا الاختلاف جعل النقاد العرب الحداثيين يحتارون في الرغبة الخوض في تجربة نقدية حديثة كلياً بعيدة عن تراثهم القديم، لذلك نجد أنّ الكثير من النقاد العرب الحداثيين الذين قاموا بتطبيق النظرية السيميائية على نصوص عربيّة يشيرون في أبحاثهم إلى حضور هذه الأخيرة في التراث العربي القديم، وهذا لخوفهم من التقصير في الوفاء لهذا التراث وإعطاء حقه الكامل من الدراسة (الجرماني، ٢٠١٢: ٧١).

ومن بين الإشكاليات التي لحقت باستقبال النظرية السيميائية في الساحة النقدية، والتي اختلفت من بيئة إلى بيئة نجد إشكالية الترجمة وتعدد المصطلح، وفي هذا الصدد يقول آراء عابد الجرماني «لا تنفصل إشكاليات استقبال السيمياء عن إشكاليات استقبال المناهج... ولاسيما تداخل مصطلحاتها ومفاهيمها، وتشابكها مع مناهج أخرى» *(المصدر نفسه: ٧١)*.

النتائج

١. تنطلق رؤية بيرس للعلامة من فهم عميق لعلمي الفلسفة والمنطق، بينما تنطلق رؤية دي سوسير متكئةً على علمي الاجتماع والنفس، ومَن يطالع المؤلفات التي صُنِّفت حول علم السيمياء يجد جليّاً سبب الاختلاف بين المدرستين في النظر للعلامة، فالسيميولوجيا والسيميوطيقيا تعتمدان ركائز علمية مختلفة تؤدّي بالنتيجة إلى وجهتي نظر مختلفة.

٢. إنّ إجماع المتابعين لبيرس على جدوى تقسيمه الثلاثي حين تتعلق العلامة بموضوعها، يجعلنا نعيد النظر في تفائلنا السابق بخصوص جدوى هذا التقسيم، والتماس نقاط الضعف التي لحقت به حين تتعلق العلامة بالممثل من جهة، وكذلك حين تتعلق العلامة بالمؤول من جهة أخرى؛ لا بدّ أن نتوصّل إلى حلول نافعة تعالج هذه الثغرات في تصنيف بيرس السيميائي للعلامة.

٣. إنّ سيموطيقية بيرس تعتمد على رؤية شاملة للكون، تبدو بسبب مبالغتها في التجريد والتعميم الذي لحقها من تبني آليات علم المنطق، محل شكّ؛ لأن تكون صالحة لتأسيس نظرية المعرفة عامّة والسيمياء خاصّة.

٤. على الرغم من شهرة هذا التقسيم وجدواه في مجال رصد التجربة الإنسانيّة وتفسيرها، إلاّ أنّه لم يخل من مؤاخذات يتعيّن على الباحث النظر فيها وتجاوزها، وهو تصوّر في محلّه فلا يجب علينا الخوض في كلّ التفاصيل الجزئيّة التي قد لا تخدم كثيراً النصّ اللغوي والأدبي، مكتفين في ذلك، بالجوانب التي من شأنها أن تقدّم دعماً حقيقيّاً للمنهج السيميولوجي في دراسته اللغويّة والنقديّة.

٥. يعد تصنيف بيرس أهم التصنيفات وأكثرها رواجاً وفاعليةً في مجال الدراسات السيميائية من خلال مفهوم الركيزة الفكريّة التي تنوب بها العلامة عن الموضوع؛ لهذا يكون الفضاء الدلالي عند بيرس موجهاً وأكثر تحديداً، وهو ما يجعل عملية الإدراك -أي تحديد معنى العلامة- أكثر سهولة من غيره، فكلّما زادت المحددات سهلت عملية إدراك المعنى...

٦. يجب النظر إلى العلامة، مع أنّها مركبة، على أنّها بناء موحد (سيميوزيس) تؤدّي سيرورته إلى إنتاج الدلالة وتداولها في سياق ما، وهكذا يصير السيميوزيس عبارة عن دلالات متناسلة وغير منتهية يحركها اشتغال هذه العناصر الثلاث (الممثل، والموضوع، والمؤول).

٧. هناك دور كبير للمسلمين في معرفة السيميائيّة، فقد أسهموا إسهاماً كبيراً في علم الدلالة، والعلامة، ويبدو أنّ القرآن الكريم قد سبق الجميع في أصل النظريّة ولفظها، فالسيميائيّة لفظة عربيّة وجدت في

معاجم اللغة العربيّة (مثل لسان العرب، والمعجم الوسيط) على الرغم من اختلاف استعمال اللفظة، ولكن نستطيع القول: إنّ الرائد الأوّل في السيميائيّة وتقسيماتها هو المسلمون، فقد سبقوا بيرس وديسوسير في تقسيماتها.

٨. عرف المسلمون بعض ملامح النظرية السيميائية في جانبها النظري، لكنّها بقيت مرتبطة بشكل كبير بمجالات مختلفة كالسحر، والشعوذة، والتنجيم، والكيمياء، وإذا نظرنا إلى جانبها الإجرائي لم نلمس آليات خاصة بها، وكذلك التداخل الكبير بين أعمال المسلمين القدماء، وما ظهر عند الدارسين الغربيين، ونخص بالذكر: ابن سينا مع دي سوسير أثناء حديثهما عن العلامة، وأبي حامد الغزالي مع بيرس.

٩. واجهت السيميائيّة ردوداً من قبل المسلمين لوجود بعض الثغرات التي احتوتها النظريّة من تداخل مصطلحاتها ومفاهيمها، وتشابكها مع مناهج أخرى.

المصادر والمراجع

١. ابن منظور، محمد بن مكرم (١٩٩٠م). ***لسان العرب***. بيروت: دار صادر للطباعة والنشر.

٢. ابن خلدون، أبوزيد عبدالرحمن (٢٠١٠م). ***المقدمة***. تحقيق حامد أحمد الطاهر، ط٢، القاهرة: دار الفجر للتراث.

٣. الأحمر، فيصل (١٤١٣هـ). ***معجم السيميائيات***. ط٤، الجزائر: دار العربية للعلوم.

٤. أريفية، ميشال؛ وآخرون (٢٠٠٢م). ***السيميائية؛ أصولها وقواعدها***، ترجمة رشيد بن مالك، الجزائر: منشورات الاختلاف.

٥. بلقندوز، هواري (٢٠٠٤م). ***مدخل إلى السيمياء التداولية؛ إسهامات بيرس وشارل موريس***. الملتقى الدولي الثالث؛ السيمياء والنص الأدبي، الجزائر: جامعة محمد خضير سكرة.

٦. ـــــــــــــ (٢٠٠٨م). ***المعطى التداولي لنظرية العلامة في السيميائيات الأمريكية؛ المنطلقات والحدود***. الملتقى الدولي الخامس؛ السيمياء والنص الأدبي، الجزائر: جامعة محمد خضير سكرة.

٧. بنكراد، سعيد (٢٠٠٠م). ***السيميائيات والتأويل***. بيروت: المركز الثقافي العربي.

٨. ـــــــــ (٢٠١٢م). ***السيميائيات... مفاهيمها وتطبيقاتها***. ط٣، سوريا: دار الحوار للنشر.

٩. التهانوي، محمد علي (لا تا). ***موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم***. تحقيق علي دروج، بيروت: مكتبة لبنان ناشرون.

١٠. الجرماني، آراء عابد (٢٠١٢م). ***اتجاهات النقد السيميائي للرواية العربية***. بيروت: دار الأمان.

١١. رويلي، ميجان (٢٠٠٧م). ***دليل الناقد الأدبي***. بيروت: المركز الثقافي العربي.

١٢. زيادة، معن؛ وآخرون (١٩٨٨م). ***الموسوعة الفلسفية العربية***. مج٢. بيروت: معهد الإنماء العربي.

١٣. عبدالكريم، هيام (٢٠٠١م). ***دور السيميائية اللغوية في تأويل النصوص الشعرية؛ شعر البردوني نموذجاً***. رسالة ماجستير، الأردن: الجامعة الأردنية.

١٤. عياش، منذر (١٩٨٨م). ***علم الإشارة (السيميولوجيا)***. الأردن: دار طلال للنشر.

١٥. فاخوري، عادل (١٩٨٥م). ***علم الدلالة عند العرب***. بيروت: دار الطليعة للطباعة والنشر.

١٦. فرطوسي، عبدالهادي (٢٠٠٥م). ***سيميائية السرد في رواية غسان كنفاني***. أطروحة دكتوراه، العراق: جامعة القادسية.

١٧. قاسم، سيزا؛ وآخرون (١٩٨٧م). ***أنظمة العلامات في اللغة والأدب والثقافة؛ مدخل إلى السيميوطيقا***. الدار البيضاء: منشورات عيون الأخبار.

١٨. مبارك، حنون (١٩٨٧م). ***دروس في السيميائيات***. الدار البيضاء، المغرب: دار توبقال للنشر.

١٩. مقداد، قاسم (٢٠٠١م). ***تفكرات سيميائية؛ آليات إنتاج الدلالة والمعنى***. سوريا: دار نور الصباح.

٢٠. مصطفى، إبراهيم؛ وآخرون (لا تا). ***المعجم الوسيط***. القاهرة: مجمع اللغة العربية؛ دار الدعوة.

٢١. مرتاض، عبدالملك (١٩٩٣م). *«بين السمة والسيميائية»*. ***مجلة تجليات الحداثة***، العدد٢، الجزائر: جامعة وهران.

٢٢. يوسف، أحمد (٢٠٠٥م). ***السيميائيات الواصفة؛ المنطق السيميائي وجبر العلامات***. الجزائر: منشورات اختلاف.

A Critical Reading of the Trio of the Mark at Pierce and His Semicolon

Ammar al-Zwainy al-Husaini[1], Reza Amani[2*]

1. Researcher, Department of Arabic, University of Tehran, Farabi Collage, Qom, Iran

2. Assistant Professor, Islamic Sciences and Education University, Qom, Iran

Abstract

There is no doubt that it is difficult for the researcher or the follower of the semiotics to talk about the path taken by the semiotic practices in theory and practice in order to reach their final form to the point of completion. This is because the semantic lesson with all its peculiarities, and since the idea originated in the minds of its founders (Dissocier, To the conclusion of a clear independent note in the end of their lives through Morris... and others to today, still uses the same basic concepts: the mark, significance, value, context .. and others in order to explain the human experience from different perspectives and different, Under which human science is contending And of microorganisms like psychology, sociology, philosophy, linguistics, logic ... and others. The cornerstone of these concepts used in the literature of alchemy is undoubtedly the term "mark". It is also the basis or the axis that meets the proposals of the scientists of chemistry to differ later in drawing the nature of this concept and the limits of its applications between thrifty and arrogant, and in this humble research we try to stand at (Pierce) in the division of the sign to a trilogy must be attended together (semiosis) Accurate understanding of the mark to the horizon of its applications in the interpretation of the human experience, and despite the great success achieved by this classification of the trademark of the mark, but it was not without gaps, we will stand as well when the reasons and ways to address.

Keywords

Critical Reading, Triangle, Trio Pearce.

---

* **Author's Email:** amani@quran.ac.ir